أهداف المحاضرة:

_ تحديد مفهوم المخالطة الفارقة.

_ التعرف على أهم القضايا التي ارتكزت ليها نظرية المخالطة الفارقة

_ محاولة اسقاط النظرية على ظاهرة من الظواهر في المجتمع الجزائري.

نظرية المخالطة الفارقة

يعتبر الباحث الامريكي سوذرلاند Sutherland رائد نظرية المخالطة الفارقة ، كما تُعرف ايضا بنظرية المخالطة التفاضلية، وتسمى كذلك بنظرية الترابط التفاضلي و ايضا الترابط الفارقي ، ويرجع هذا التعدد في التسميات إل الترجمة ، و يعد سوذرلاند من كبار علماء الاجتماع الذين كانت له اسهامات جدية ولها تأثر واضح في الدراسات اللاحقة في ميدان الجريمة و الانحراف.

حيث اعتبر ان التفكك الاجتماعي هو السبب الرئيسي للسلوك الاجرامي، وذلك في صياغته الاول لنظريته التي نشرها سنة 1939 في كتابه " مبادئ الاجرام" ، غير انه عدل و اضاف تفسيرا جديدا لنظريته.

اهتم سوذرلاند بدراسة رجال الاعمال ، كما اشتهر بدراسته عن اللص المحترف

تنطلق نظريته من عدة فرضيات نلخصها في النقاط التالية:

1_ السلوك الاجرامي سلوك مكتسب عن طريق التعلم و ليس وراثيا.

2_ السلوك الجانح يتم تعلُمه من خلال التفاعل مع أشخاص آخرين.

3_ السلوك الاجرامي يتم تعلمه ضمن الجماعات الاولية الحميمية مباشرة ، كما اقر ان وسائل الاعلام لا تساهم الا بدور ثانوي.

4_ عندما يتعلم السلوك الاجرامي فإن ذلك يعني:

أ/ تعلم أساليب ارتكاب الجريمة البسيطة منها و المعقدة.

ب/ تبرير السلوك الاجرامي (يجد نفسه بين فئة تحترم القوانين و فئة لا تميل لاحترامه ، مما يؤدي إلى صراع بين هاته المعايير.)

5_ ان الدافعية وبواعث الجريمة تتحدد من خلال تقبل أو عدم تقبل القواعد القانونية.

6_ يصبح الفرد جانحا نتيجة غلبة الكفة للفئة التي تحبذ انتهاك القواعد القانونية على احترامها.

7_ الاختلاط التفاضلي يتباين في التكرار و الشدة والأسبقية.

الأسبقية: تأثر الفرد بالسلوك السائد ضمن الجماعة.

الاستمرار : فترة من الزمن يسمح بإكسابه مسلك الجماعة.

الشدة : عمق تأثير الذي تمارسه الجماعة المنحرفة عل الشخص الجانح.

8_ تعلم السلوك الاجرامي مثل تعلم أي سلوك يتمخض عنه آليات و ميكانيزمات عمليات التعلم

أولا : تعلم جوانب المادية والتقنية أي تقنيات ارتكاب الجريمة.

ثانيا :تعلم الفرد مجموعة من الاتجاهات و القيم والتدابير.

9_ السلوك الاجرامي يعبر عن قيم واحتياجات، لكنه لا يفسر من خلالها لان أي سلوك يعكس قيما واحتياجات عامة، مثاله اللص يسرق ليحصل عل المال(قيمة) والعامل يعمل من اجل نفس القيمة (المال)

بالرغم من أن جميع الافتراضات تشكل فحوى نظرية سوذرلاند إلا أن القضية السادسة أو الافتراض السادس هي التي يحددها عل أنها مبدأ أو قاعدة نظرية الترابط التفاضلي، وهذا هو مصدر ارتكاب الفرد للأفعال الاجرامية، وذلك لأنه من خلالها يتعلم الفرد التبريرات والاتجاهات المحبذة لخرق القانون.

إن التفسير العلمي للجريمة والسلوك الإجرامي، حسب سذرلاند وتلميذه كريسي، يمكن صياغته وفهمه باعتماد طريقتين:

الأولى على ضوء العمليات التي تحدث لحظة حدوث(أثناء حدوث)الجريمة، والثانية على ضوء التاريخ التطوري للشخص المجرم.

وعلى هذا الأساس قدم سذرلاند وكريسي:

–التفسير الميكانيكي الموقفي (الموضوعي)أو ما أسماه ب" الموقف لحظة حدوث الجريمة.

–التفسير التطوري للشخصية الإجرامية، أو تأثير التطور الأولي في حياة الفرد المجرم، ومنها انطلق لاعتماد نظريته المعروفة باسم المخالطة الفارقة.

ويعني بالتفسير الميكانيكي أو ما أسماه كذلك بالموقف الديناميكي Dynamic ،" أن الجريمة لا تحدث إلا بوجود فرصة مواتية لارتكاب الفعل الإجرامي، بعبارة أخرى الجرم لا يحدث إلا إذا توافرت الظروف المباشرة والمناسبة لذلك، إذن الموقف لحظة حدوث الجرم عنصرا أساسيا في تفسير السلوك الإجرامي حسب سذرلاند.

كذلك الموقف المناسب للمجرم يحدد من طرف الشخص الذي يقدم على الفعل الإجرامي، وهذا الموقف في حد ذاته يتحدد تبعا للشخصية وللتجارب الفردية والتنشئة الاجتماعية لصاحب الفعل الإجرامي، وهكذا فالموقف في مجموعة يشكل العلاقة التفاعلية بالمفهوم الاجتماعي والسلوكي بين الفرد المجرم، أو صاحب السلوك الإجرامي، والفعل الإجرامي ذاته.

أما النمط الثاني لتفسير السلوك الإجرامي، فهو الذي يشير إلى التطور التاريخي للشخصية الإجرامية، أو دراسة شخصية المجرم من حيث التنشئة والمحيط والثقافة السائدة.

بالنسبة دائما للنمط الثاني، يصاغ على ضوء التاريخ الفردي والتطوري للشخص المجرم (فحص وتشخيص تطور شخصية الفرد، بدل البحث في سماته واستعداداته البيولوجية)، أي الاهتمام بالفرد المجرم كشخصية اجتماعية وليس كوحدة بيولوجية أو وحدة نفسية.

بكلام آخر، إن المجتمع(عن طريق الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات)هو الذي يوفر الشروط المواتية والفرصة المناسبة للجريمة، وبذلك فهو المسئول عنها.

وقد أعطى كل من سذرلاند وكريسي العديد من الأمثلة التوضيحية لتقريب أطروحاتهم لدى القارئ، نذكر من بينها:

–أن المجرم / اللص مثلا :يسرق الفاكهة المعروضة إذا كان صاحبها لا يحرس بضاعته، أو غير متواجد في المحل، لكنه لا يسرق إذا لاحظ أن صاحب المحل يظهر حراسة جيدة، أو إذا كان بكل بساطة متواجدا في المحل.

–وسارق البنوك يقدم على فعله إذا لاحظ أن البنك غير محروس بصورة جيدة، ولا يقدم على فعله إذا شعر بأن البنك محروسا جيدا.

–كذلك فإن الأشخاص، ضحايا الجريمة (الذين يقع عليهم الفعل الإجرامي)هم في أنفسهم في الغالب من يوفر الفرصة المناسبة لذلك، أما تحديد الموقف المناسب للجريمة، فيحدده الشخص المجرم نفسه انطلاقا من خبراته السابقة، النفسية والتنشئية والاجتماعية، وانطلاقا من الظروف(الفرص) والشروط الملائمة التي يوفرها المجتمع(فرديا أو جماعيا).

بعد هذا ننتقل إلى الفروض التي أسس عليها سذرلاند دراسته وبالتالي النظرية المسماة بالمخالطة الفارقة أو الترابط الفارقي. Théorie des associations différentielles

لقد عرض سذرلاند مبادئ هذه النظرية في فصل تمهيدي بعنوان" **نظرية اجتماعية في سلوك المجرم** "من كتابه" **مبادئ علم الجريمة.**"

وعليه يمكن القول بأن نظرية المخالطة الفارقة نظرية مرنة يمكن اعتمادها في فهم السلوك الإجرامي وخاصة جرائم الطبقة العليا، والتي بيّنها هذا العالم عند التطرق إلى الياقة البيضاء، عكس ميرتون الذي ركز كل التركيز على جرائم الطبقة الدنيا، وأهمل الجريمة عند الأغنياء والنخبة من جهة، وكذلك تعد مساهمة سذرلاند محاولة جادة في إقحام العوامل الاجتماعية لفهم السلوكيات الانحرافية والإجرامية.

بعد وفاة **سذرلاند** قام **دولاند كريسي** بتنقيح كتاب مبادئ علم الجريمة من طبعة الخامسة وحتى الطبعة العاشرة، واصبح مناصرا للنظرية و مطبقا اياها على العديد من المجالات المختلفة في علم الاجرام ، كما قام بتنقيح وتعديلات لنص النظرية الا أنه ابقى بقصد على القضايا التسعة الرئيسية كما صاغها سوذرلاند ، وبعد وفاته قام **دايفيد لكنبل Lukenbill** ، قام هو الآخر بتنقيح النظرية في الطبعة الحادية عشر الا انه لم يغير شيئا في القضايا التسعة.

تقييم نظرية المخالطة الفارقة

_ هذه النظرية لا تعالج ديناميكيات الجريمة (التغيرات الكيفية والكمية في معدلات الجريمة بالمجتمع) فهي لا تفسر لنا لماذا تتغير طرق أو الأساليب التي يرتكب بها الأفراد السلوكيات الإجرامية، ولماذا تطورت العديد من أنماط السلو الإجرامي في الوقت الراهن ولم تكن معروفة في وقت سابق.

_ يلاحظ أن هذه النظرية لا تبتعد كثيرا في أساس أفكارها عما طرحته نظريتي التفكك والضبط الاجتماعي، والفارق يكمن في أن هذه النظرية تجمع بين الاثنين مع فتفسر الإجرام باختلاط الفرد بالجماعات غير المنظمة وتفسر انتشار الجريمة في الجماعة من خلال التفكك الاجتماعي الذي يؤثر بدوره على وسائل الضبط الاجتماعي.

_ هذه النظرية تضع الفرد موضع الطائع لمكونات الثقافة التي يتفاعل معها متناسية رغبات الأفراد في التغيير والابتكار، والرفض لبعض أنماط السلوك غير الاجتماعية، فقد جعلت هذه النظرية من الفرد مجرد استجابة للثقافة (خاصة الفرعية _ وبالخصوص ثقافة جماعة الرفاق) والانصياع وراءها دون القدرة على المقاومة، وفرض الذات من خلال التمسك بمعايير الثقافة المتفق عليها من طرف كل أفراد المجتمع.

_ أنها نظرية تفسر سلوك الجناح عند كثير من الأحداث، ولكنها لا تفسر سبب عدم تورط بعض الأفراد الذين يجرون اتصالات واسعة واحتكاك مركز بالمعايير الاجرامية.

_ تعجز عن تفسير جرائم الأحداث التي يرتكبونها في سن مبكرة دون أن يحظى بفرص المخالطة وإمكانية تعلم السلوك الإجرامي أو التدرب عليه.

_ لا تصلح لتفسير طائفة الجرائم العاطفية والانفعالية، فهي تحدث استجابة لمؤثرات انفعالية عارضة، ولا تربط في ذلك بتعلم سابق أو تدريب على ارتكابها.